

التفسير المطول - سورة المائدة 005 - الدرس ( 02-49 ) : شرح الآيات 1-2 ، شعائر الله  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-08-2003

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الأنعام غير مكلفة ومذلة ومسخرة للإنسان :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثاني من دروس سورة المائدة الآية الأولى التي شرح بعضها في الدرس السابق بتوفيق الله عز وجل هي قوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ )

فإنه سبحانه وتعالى الذي عقد لنا عقوداً وأمرنا أن نطبقها، والعقود كما تحدثت في درس سابق واسعة جداً منها عقود إيمانك بالله، وعقود طاعتك له، وعقود الأحكام الشرعية، هذه العقود ينبغي أن نفي بها، وذكرت لكم تفاصيل دقيقة حول هذه الآية، لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحل لنا وهو الذي يحرم علينا، هو الخبير، هو الخبير بما يسعدنا والخبير بما يسلمنا من أخطار تتأتى من مخالفة تعليمات الصانع:

### ( بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ )

الإبل والبقر والغنم والماعز، هذه الأنعام أحلت لنا، لكن فضلاً عن أنها أحلت لنا هي مذلة. لو أحل لك لحم الضبع مثلاً غير مذل، لكن في أصل تركيب هذه الأنعام أنها مذلة، وهناك حالات استثنائية قد تمرض بعض هذه الأنعام فتجن كما هو جنون البقر.

حدثني أخ كريم أن بقرة عند صديق له أصابها الجنون فقتلت رجلين وكادت تقتل الثالث أطلق عليها النار وأنهى حياتها، إذأ حينما ترى بقرة مذلة، حينما ترى غنمة مذلة، شاة مذلة، بغيراً مذلاً، قد لا ننتبه أن التذليل نعمة أخرى غير أن الله سخرها لنا، سخرها لنا وذللها لنا، أما العقرب صغير غير مذل، لدغته قاتلة، والأفعى صغيرة غير مذلة لكن لدغتها قاتلة، إذأ هذا التناسب بين الحل وبين التذليل:

### ( أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ )

أي الأنعام ليست مكلفة، هذه الأمور مبهمة عليها ونحن لا نفقه مرادها لكن نرى أنها تأكل الحشيش نطمعها الحشيش، الأمور مبهمة عليها، لأنها غير مكلفة، لم يعطها الله قوة إدراكية، أما الإنسان مكلف بحمل الأمانة، مكلف أن يعرف الله عز وجل، أعطاه الله قوة إدراكية، بينما الأنعام ليست مكلفة، إنما اختارت ألا تقع في معصية وأن تملأ حياتها هذه الشهوات التي أودعت بها، فالأنعام غير مكلفة ومذلة ومسخرة للإنسان، ولحمها حلال لأن لحمها متوافق مع حاجة الإنسان.

الله عز وجل حرم علينا الدم والميتة ولحم الخنزير وما كان في حكم الميتة :

قال تعالى:

### ( إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ )

الله عز وجل حرم علينا الدم والميتة ولحم الخنزير وما كان في حكم الميتة، المتردية والموقوذة والنطيحة وما أكل السبع، فهذا الذي تلاه الله علينا محرم:

### ( أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ )

لكن الإنسان إذا كان محرماً، هذا المكان مكان مقدس هو بيت المنعم، لذلك إما أن تكون مع المنعم وإما أن تكون مع النعم، منعت منك بعض النعم لتكون مع المنعم، فمحرّم عليك وأنت محرّم أن تلبس مخطئاً، أن أو تقص شعرك، أو أن تتعطر، ومحرّم عليك أن تصطاد فكل من في الحرم يجب أن يكون آمناً:

### ( إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ )

نحن عبيد لله عز وجل، والله عز وجل هو الخالق، وهو الأمر وهو الناهي، والأمر بيده، وهو الذي يعلم، وهو الذي يحكم:

### ( إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ )

شعائر الله ما يدل على الله بالمعنى الواسع :

أيها الأخوة، لكن الوقفة المتأنية التي ينبغي أن نقفها هي وقفة مع الآية الثانية:  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ  
يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْبَاطِلِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ )

شعائر الله ما يدل على الله بالمعنى الواسع، مثلاً هذا الوطن له علم فهذا العلم من شعائر الوطن، له نسر هذا النسر من شعائر الوطن، له اسم، له عاصمة، له نظام هذه كلها من علامات هذا الوطن، للتقريب؛ الدين، القرآن من شعائر الله، الصلاة من شعائر الله، الصيام من شعائر الله، الحج من شعائر الله، كل شيء يدل على هذا الدين العظيم، وعلى خالقنا العظيم هو من شعائر الله، فتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، والاستخفاف بشعائر الله من أكبر العيوب في إيمان المؤمنين، لذلك ومن يعظم الله يعظم شعائره، ومن يستخف بشعائر الله ففي إيمانه خلل خطير.

**كل شيء يدل على أن هذا الإنسان مسلم هو من شعائر الله :**

قال تعالى:

**( لَا تُحْلُوا )**

لا تستخفوا، هناك شيء يستخف به، هناك شيء يعظم، كلما عرفت من هو الأمر تعظم أمره، وكلما ضعفت معرفتك بالأمر تستخف بأمره، فتعظيم الأمر وعدم تعظيمه يتأتى من تعظيم الأمر أو عدم تعظيمه:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا )**

إذاً الكلمة الأولى تعني كل شيء يدل على الله هو من شعائر الله، المصحف من شعائر الله، بيت الله الحرام من شعائر الله، المسجد من شعائر الله، الأذان من شعائر الله، والله أنا دائماً والفضل لله لو كنت في درس وشرع المؤذن في الأذان أسكت إلى أن ينتهي الأذان تعظيماً لهذه الشعيرة، فالأذان من شعائر الله، والصلاة من شعائر الله، الصيام من شعائر الله، الحج من شعائر الله، النطق بالشهادتين من شعائر الله، المسجد من شعائر الله، القرآن من شعائر الله، كل شيء يدل على أن هذا الإنسان مسلم هو من شعائر الله:

**( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا )**

لا تحلوا بمعنى لا تستهينوا، لا تستخفوا، لا تهملوا:

**( لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ )**

بدليل الله عز وجل يقول:

**( وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ )**

[سورة الحج:32]

لكن الذي اشتهر أن الشعائر تعني مناسك الحج، الإحرام أن تحرم، أن تخلع المخيط وأن ترتدي ثوباً غير مخيط وغير محيط، وأن تمتنع عن التطيب، أن تمتنع عن قص الشعر، أن تمتنع عن قص الأظافر، أن تأتي بيت الله الحرام، أن تطوف حول البيت، أن تسعى بين الصفا والمروة، أن تقف في عرفات، أن تقف عند المشعر الحرام، أن تجلس في منى أياماً ثلاثة، أن ترمي الجمار، هذه كلها من شعائر الله، فشعائر الله لها معنى واسعاً؛ أن كل شيء يدل على الله هو من شعائر الله، ولها معنى ضيقاً؛ هي مناسك الحج:

### ( لَّا تُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللَّهِ )

لا تستخفوا بهذه الشعائر، بل وأنت في هذه الشعائر ينبغي أن تكون لك مشاعر، فلا معنى لأداء الشعائر إن لم تكن لك فيها مشاعر، فالوقوف في عرفة هو مناجاة، والطواف حول الكعبة هناك شعور خاص بها، والسعي بين الصفا والمروة.

بالمناسبة أيها الأخوة، حكمة الحج أن كل المسلمين على اختلاف مراتبهم وأعرافهم وأنسابهم ومراتبهم الاجتماعية، أو مراتبهم المالية، أو مراتبهم الإدارية كلهم من دون استثناء يجب أن يخلعوا ثيابهم لأن ثيابهم تشير بشكل أو بآخر إلى مرتبتهم، أو إلى غناهم، أو إلى مكانتهم، فليس في الحرم دنيا، الناس سواسية كأسنان المشط، وليس هناك طواف خاص بالسلك الدبلوماسي، وطواف خاص مع عامة المسلمين، لا، ولا في مسعى للمهمات ومسعى لبقية المسلمين، لو جاء ملك يجب أن يطوف مع المسلمين، وأن يسعى مع المسلمين، في هذه الشعائر تتوحد المشاعر، وتزال كل الفروق بين الطبقات، لا فرق بين أمير وخفير، ولا بين قوي وضعيف، ولا بين رجل من أدنى سلم اجتماعي ورجل في أعلى سلم اجتماعي.

### الحج صلح مع الله وصلح مع الناس جميعاً وصلح مع كل مخلوقات الله عز وجل :

أيها الأخوة، هذا البيت الحرام ومعه الحرم ما يحيط بالبيت هذا مكان مقدس بمعنى أن الله اتخذ بيتاً له، فالله عز وجل خلق العباد كلها سواسية كأسنان المشط لا يقبل تمايزاً في بيته، شيء آخر، أراك أن تبعد عن النعم لتقترب من المنعم، لو أنك غارق في النعم ابتعدت عن المنعم، الشيء الثاني. الشيء الثالث، أراك أن تكون مع كل الخلق على صلة واحدة، أنت في بلدك هناك جندي غر، وهناك لواء لا يستطيع أن يصل إليه، هناك حواجز، أراك في بيته الحرام أن تكون أنت وبقية الخلق سواء، بل أراك أن تصطحب مع كل المخلوقات، لا تستطيع في الحرم أن تصيد شيئاً الصيد محرم في الحرم،

إما محرم وأنت محرم، أو محرم في أرض الحرم، أي أرض الحرم أوسع، أي إنسان محرماً كان أو غير محرم مُحَرَّم عليه أن يصيد في الحرم، إذاً أنت اصطلحت مع حيوانات الحرم، لا صيد، واصطلحت مع نباتات الحرم لا يمكن أن تقطع نباتاً، بل اصطلحت مع أحجار الحرم أرادك الله أن تقبل الحجر الأسود وقد قيل الحيوان في خدمة الإنسان، والنبات في خدمة الحيوان، والجماد في خدمة النبات، فأقل شيء بعيد عن خدمتك هو الحجر أرادك أن تقبله مرةً وأن ترجمه مرةً، في رمي الجمار ترجم حجراً، وحول المسعى تقبل حجراً، إذاً ليست القدسية في الحجر ولكن لرب الحجر، أمرك أن تقبل هنا وأن ترجم هنا، إذاً الحج صلح مع الله، وصلح مع الناس جميعاً، وصلح مع كل مخلوقات الله عز وجل من جماد إلى بنات إلى حيوان:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ )

لا تستخفوا بها، وعلامة إيمان المؤمن أن أمر الله عنده كبير، وأن المؤمن يغضب لله ويرضى الله، ويعطي الله ويمنع الله:

( وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ )

#### الحكمة من تحريم القتال في الأشهر الحرم :

خالق البشر أعلم بطبيعة النفوس، الإنسان حينما يدخل في حرب مع إنسان آخر يفور الدم بينهما ولا أحد مستعد أن يوقف القتال، وقد يدمر الاثنان بعضهما بعضاً، وقد تأتي الحرب على الأخضر واليابس، وقد تفني ملايين، والحرب لا تقف، شاءت حكمة الله أن يجعل في شرعه العظيم - لكنه الآن غير مطبق - أن يجعل أشهراً حرماً، الأشهر الحرم؛ ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، أربعة أشهر، هذه الأشهر القتال مستعر، دخلنا في الشهر الحرام لا قتال، حفاظاً على كرامة الطرفين، الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، أربعة أشهر، فشاءت حكمة الله أن كل قتال دخل في شهر حرام ينبغي أن يقف، وهذا الوقوف لا يخدش كرامة واحد من الطرفين، لا القوي ولا الضعيف، فإذا دخل هذا الشهر أو هذه الأشهر شعر الناس بقيمة السلام، فحافظوا عليه وكأن الله الذي خلق الإنسان وخلق جبلته هو الذي شرع له أن يوقف أي قتال في الأشهر الحرم، لكن العرب في الجاهلية كانوا إذا دخلوا في قتال يغيروا الشهر الحرام حتى يتم النصر، فقال الله عز وجل:

( إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ )

[سورة التوبة: 36]

الذي لا يعبأ بهذا الأمر الدقيق يغير في مواقيت هذه الأشهر تبعاً لمصلحتهم:  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ )

هناك إشارات في القرآن الكريم قلما ننتبه إليها :

حينما قال الله عز وجل:

( وَإِنْ طَانِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي  
حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ )

[سورة الحجرات: 9]

أيضاً هذا تشريع، لو أن بلدين مسلمين تقاتلا كما جرى بدلاً من أن يأتي الطرف الآخر فيأكلنا جميعاً،  
ويأخذ كل ثروتنا، ينبغي نحن أن نصلح بينهما:

( فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى )

قاتلنا جميعاً التي تبغي:

( حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ )

أي أن المشكلة يجب أن تحل بين المسلمين لا بين الإسلام والطرف الآخر، هذا تشريع الله عز وجل  
لكنه غير مطبق، فما أروع الأشهر الحرم يقف القتال، كم حرب أهلية استمرت عشر سنوات، وحرقت  
كل شيء، حرب أخرى بين بلدين مسلمين استمرت ثماني سنوات، مليوناً قتل، لو طبقوا الأشهر الحرم  
وقف القتال، ثلاثة أشهر شعر الناس بالسلم، حافظوا عليه، حققت الدماء لا غالب ولا مغلوب، القوي لا  
يستطيع أن يتجبر، والضعيف لا يسحق:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ )

يوجد إشارات في القرآن الكريم قلما ننتبه إليها، حينما ركب ثمانية وثلاثون عالماً كبيراً بعد أن  
تخرجوا من أكاديميات عسكرية في بلد بعيد ركبوا جميعاً في طائرة واحدة والطائرة أسقطت، ماذا  
ينبغي أن يفعلوا؟

( وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ )

[سورة يوسف: 67]

ينبغي أن يأتي كل منهم برحلة، أما حينما تجمعوا برحلة واحدة، صيد ثمين؛ ثمانية وثلاثون عالماً  
تخصصوا في علوم عسكرية وهم مسلمون، إذا سولت للطرف الآخر نفسه أن يسقط هذه الطائرة.

## أنواع الهدى :

قضية الأشهر الحرم قضية تشريع رائع، أولاً يحقن الدماء، ويحفظ كرامة المتخاصمين، ويقصر أمد الحرب، الأشهر الحرم:

( لَّا تُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَآ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَآ الْهَدْيَ وَلَآ الْقَلَائِدَ )

الهدى جمع هدية، والحاج قد يقدم هدية إلى الله عز وجل هي هذا الكبش الذي يذبحه، فهذا هدي، والهدى أنواع: هناك هدي تمتع، وهدي جزاء، وهدي قران، إذا الإنسان جمع بين العمرة والحج عليه هدي قران هدي شكر، إذا جمع بين العمرة والحج وقد أتاه الله قوة وصحة واستمر محرماً من العمرة إلى الحج فعليه هدي شكر، هذا هدي القران، وإذا تمتع واعتمر أولاً ثم خلع ثياب الإحرام وتمتع كما يتمتع أي إنسان في بلده وفي اليوم الثامن من ذي الحجة أحرم هذا متمتع عليه هدي جبر، هدي القران هدي شكر، وهدي التمتع هدي جبر، فإذا ارتكب مخالفة في الحج عليه هدي جزاء، وكل هذا الهدى هو هدية إلى الله عز وجل، والهدى جمع هدية، وفي هدي آخر معلّم؛ أي عليه قلادة أن هذا هدي لبيت الله الحرام، قربة إلى الله عز وجل، قال: هذا الهدى وتلك القلائد لا تستخفوا بها، لا تدبجوها قبل أن تتحللوا من حجكم.

( وَلَآ آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا )

ولا تمنعوا حاجاً أرادوا أن يحجوا بيت الله الحرام، لا تمنعوا أناساً أرادوا أن يحجوا بيت الله الحرام تقرباً من الله عز وجل.

## الفرق بين رضوان الله وبين فضله :

قال تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَّا تُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَآ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَآ الْهَدْيَ وَلَآ الْقَلَائِدَ وَلَآ آمِينَ الْبَيْتِ

الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا )

أخواننا الكرام، كل الخلق ينالهم فضل الله، لكن ما كل الخلق ينالهم رضوان الله، فرق كبير بين رضوان الله وبين فضله، الكافر يتمتع بفضل الله، أليس له قلب ينبض؟ أليس له عينان؟ أليس له جسم يتحرك؟ أليس له عقل يدرك؟ أليس له لسان ينطق؟ أليس أمامه طعام يأكله؟ هذا فضل الله عز وجل، لكن المؤمن وحده يتمتع برضوان الله:

( وَلَآ آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا )

قد يذهب هناك تاجر ويبيع الحجاج هذا جاءه نفع في الحج، هذا ابتغى فضل من الله، لكن ما ابتغى رضواناً، أما الحاج المخلص يبتغي من الله فضلاً ورضواناً، إذاً لا تقف حجر عثرة أمام من أراد أن يحج بيت الله الحرام:

( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا )

إذا انتهى الحج بالتحلل الأصغر أو الأكبر:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا )

**ممنوع أن تدرك وأن تتفعل مع المرأة في الحج إلا إذا أحل الله لك :**

أخواننا الكرام، قضية دقيقة جداً أنت بإمكانك أن تدرك لو نظرت إلى وردة جميلة، تدرك أنها وردة، فإذا اقتربت منها تتفعل بجمالها، صار هناك إدراك أنها وردة، ثم تأثرت بجمالها، لكن إذا مددت يدك لتقطعها وليست في حديقة دارك هذا عدوان، مسموح لك أن تدرك وأن تتفعل وغير مسموح لك أن تقوم بعمل عدواني، هذا مطبق في جميع الحالات، لك أن تنظر إلى شيء جميل أن تدرك جمال هذا الشيء، ثم أن تتفعل بهذا الجمال، لكن ليس لك أن تعتدي عليه، إلا مع المرأة منعت من المرحلة الأولى لأن المرأة إذا أدركت جمالها وانفعلت به تغيرت كيميائياً دمك وصرار الطريق مغرباً إلى الوصول إليها، فقال الله عز وجل:

( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ )

[ سورة النور: 30 ]

فقط مع الطرف الآخر مع المرأة، ممنوع أن تدرك وأن تتفعل إلا إذا أحل الله لك.

( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ )

[ سورة المؤمنین: 5-6 ]

إذاً مسموح لك أن تدرك، مسموح لك أن تتفعل، ممنوع أن تعتدي، إلا مع المرأة ممنوع أن تدرك، ممنوع أن تتفعل، ممنوع أن تفعل شيئاً لا يرضي الله عز وجل، ما قيمة هذه المقدمة لهذه الآية؟ قال:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ )

يجرمكم بمعنى يحملنكم، والشنان البغض الشديد، الإنسان من حقه أن يبغض كافراً، كل واحد منا هناك شخص يكونه وشخص يتمنى أن يكونه كمثله الأعلى، وشخص يكره أن يكونه، إن كنت صادقاً تكره الكاذب، وإن كنت أميناً تكره الخائن، وإن كنت شجاعاً تكره الجبان، وإن كنت كريماً تكره البخيل، وإن كنت مؤمناً تكره الكافر، شيء طبيعي، فالله عز وجل ما منعهم أن يبغضوا.



لا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب في الله ويبغض في الله :

قال تعالى:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ )

من هم القوم الذين يبغضونهم المؤمنون؟ لا يمكن أن يكون هناك فاعلان لفاعل واحد، النحاة يأتون بمثل طريف هل لك أن تقول: أكلوني البراغيث، صارت البراغيث فاعلاً والواو فاعلاً، يجب أن تقول: أكلتني البراغيث، لا أكلوني البراغيث، فلا يجوز أن يكون هناك فاعلان للفعل، إذاً سمح الله لك أن تبغض بل إن هذا البغض في الله، لا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويعطي الله ويمنع الله، ويصل الله ويقطع الله، سمح الله لك أن تبغض إنساناً خائناً، إنساناً خسيساً، إنساناً قذراً، إنساناً دنيئاً، إنساناً متلاعباً، إنساناً مختلاً متكبراً قاسي القلب بطاشاً، ليس له عهد، طبيعي جداً، لكن أنت منهي عن أن يحملك هذا البغض على أن تعتدي عليه.

سيدنا عمر هناك رجل قتل أخاه زيد بن الخطاب، ثم أسلم قاتل أخيه، قال له: أتحبني؟ قال له: والله لا أحبك، قال له: هل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي، قال: لا والله، بغضي لك لا يمكن أن يمنع عنك حقي، قال: إذاً إنما يأسف على الحب النساء، هنا:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ )

أي لا يحملنكم:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا )

أي لك أن تدرك أن هذا عدو، ولك أن تبغض، لكن ليس لك أن تعتدي، هذه الآية تذكرنا بأية ثانية:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا اَعْدَاؤُا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ )

[ سورة المائدة: 8 ]

اعدل مع هذا الذي تبغضه فلعل عدلك يقربه إلى الله، ولعل عدلك يقربه إليك فيسلم، أي لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه نحن صلوات، مساجد، كلام، مكتبات، مؤتمرات، لكن ما في استقامة، ما في التزام، والله ما خرج الإسلام من مكة، فلأنه كان إسلام قيم، وإسلام مبادئ وصل إلى أطراف الدنيا.

أمثلة من التاريخ الإسلامي عن المساواة في الإسلام :

عندما أسلم ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم على يدي سيدنا عمر، هذا الملك في أثناء الطواف حول البيت داس بدوي طرف إزاره فانخلع الإزار من كتفيه، فغضب والتفت إلى هذا البدوي وضربه ضربة

هشمت أنفه، لم يجد هذا البدوي من يشنكي إليه إلا عمر، فجاء لعمر وشكا ملك الغساسنة، تصور أحدهما في قمة المجتمع ملك والآخر في الدرجة الدنيا من المجتمع لكن هذا هو الإسلام، فاستدعي هذا الملك - هناك من صاغها شعراً - قال: أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟ فقال جبلة: لست ممن ينكر شيئاً، أنا أدبت الفتى، أدركت حقي بيدي، قال: أرضي الفتى لا بد من إرضائه، ما زال ظفرك عالق بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك. قال: كيف ذاك يا أمير هو سوقة - هذا من عامة الناس، ألا يقول لك الشارع العربي، هذا من الشارع - هو سوقة وأنا عرش وتاج - قمم - كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً؟ فقال له: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها، أفمنا فوقها صرحاً جديداً وتساووا الناس لدينا أحراراً وعبداً. قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز - هكذا - أنا مرتد إذا أكرهتني. قال له: عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصلوك تساوى.

هذا هو الإسلام، سيدنا بلال اشتراه الصديق من سيده قال له: سيده والله لو دفعت به درهماً لبعته - لا قيمة له عندي - فقال الصديق عن سيدنا بلال: والله لو طلبت به مئة ألف لأعطيتها، هذا أخي في الله، وضع يده تحت إبط بلال وقال: هذا أخي في الله، وكان الصحابة الكرام إذا ذكروا الصديق قالوا: هو سيدنا، وأعتق سيدنا، هذا الإسلام، الإسلام فيه عدل، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. سأل سيدنا عمر: لمن هذه الإبل؟ إبل سمينة، قالوا: هي لابنك عبد الله، قال: أتوني به، كان غاضباً، فلما رآه غاضباً قال له: ماذا فعلت يا أبتِ هي إبل اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن، فماذا فعلت؟ قال له: ويقول الناس ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين، تعلم لماذا سمنت إبلك؟ لأنك ابني، بع هذه الإبل، وخذ رأس مالك ورد الباقي لبيت مال المسلمين، هذا هو الإسلام.

### هان أمر الله علينا فهنا على الله :

والله الذي لا إله إلا هو لو طبق هذا الدين، ماذا أقول لكم؟! هؤلاء الطغاة لكانوا تحت أقدامنا والله تحت أقدامنا، الأمر ليس كذلك الآن، لهم علينا ألف سبيل وسبيل، هان أمر الله علينا فهنا على الله.

( وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً )

[سورة النساء: 141]

لهم علينا ألف سبيل وسبيل:

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا )

أما الآية التي أحرص عليها حرصاً شديداً:

( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )

إن شاء الله في درس قادم نمضي الدرس في هذه الآية التي نحن الآن في أمس الحاجة إليها.

**والحمد لله رب العالمين**